وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ميسان كلية التربية الاساسية
قسم اللغة العربية

تمثلات المرأة في الرواية الميسانية
قراءة في رواية(نيران) للروائي حسن سلمان

بحث تقدمت به الطالبة

ساره ياسر عبد الحسين

الى مجلس كلية التربية الاساسية جامعة ميسان
وهو جزء من متطلبات شهادة البكلوريوس في اللغة العربية

بأشراف

م.د نجم عبد الزهره

١٤٤٨-١٤٤٧ ٢٠٢٥-٢٠٢٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة النساء، الآية ١٩

..إلى من كان للعلم بقاء وللحق محراباً

..إلى من خطَّ بلسانه نهج البلاغة، ورسم بفكره ملامح العدالة

إلى أمير البيان وسيد الأوصياء الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

استرشاداً بنهجه الذي علّمنا أن قيمة كل امرئ ما يحسن، ويتيمناً بباب لا يُردُّ سائله...

إلى عائلتي التي كانت ولا تزال النور الذي لا ينطفئ في دربي، أهديكم هذا الإنجاز الذي ما كان ليرى النور لولاكم.

وإلى كل تعب مررتُ به فتحول إلى قوة، وكل لحظة ضعف صنعت مني إصراراً لا يُكسر...

وإلى رحلة لم تكن سهلة، لكنها كانت تستحق.

وإلى من علّمني أن النجاح لا يُمنح بل يُنتزع بالصبر والاجتهاد، وإلى كل من آمن بي حين كنتُ في بداية الطريق.

وإلى أساتذتي الكرام، الذين كانوا شموعاً تُضيء طريق العلم... لكم مني كل الامتنان والتقدير.

راجيةً من الله عز وجل دوام التوفيق والنجاح.

الشكر والعرفان

الحمدُ للهِ أولاً وآخراً، الذي وفّقني لإتمام هذا البحث، وأمدّني بالصبر والعون لإكماله.

أتقدّم بخالص الشكر والتقدير والامتنان إلى أستاذي الفاضل، المشرف على هذا البحث د نجم عبد الزهرة ، لما قدّمه لي من توجيهاتٍ علميةٍ قيّمة، ومتابعةٍ مستمرة، ونصائح أسهمت في إنجاز هذا العمل.

ولا يفوتني أن أعبّر عن عظيم امتناني واعتزازي بوالديَّ العزيزين، اللذين كانا السند والداعم الأكبر لي بالدعاء والصبر والتشجيع المستمر.

وأتقدّم بالشكر إلى كل من قدّم لي المساعدة، ولو بكلمة طيبة، وأسهم في إنجاز هذا البحث بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الآية	أ
اقرار المشرف	ب
الاهداء	ت
الشكر والعرفان	ث
المقدمة	١
التمهيد	٣
التمثلات لغة واصطلاحاً	٤
ملخص الرواية	٥
السيرة الذاتية	
المبحث الاول: التمثلات المرأة القوية	٧
المبحث الثاني: تمثلات المرأة الضعيفة	١٦
الخاتمة	٢٦
المصادر والمراجع	٢٧

مقدمة

تتجلى تمثلات القوة في رواية نيران للكاتب حسن السلمان بأوضح صورها عبر الشخصية المحورية "نيران "التي تحمل اسم الرواية. فشخصية نيران شخصية مركبة، مركبة، وهي: «شخصية روائية أو درامية عميقة، متعددة الابعاد، تجمع بين المتناقضات كالعقل والعاطفة، والخير والشر، وتتطور عبر الاحداث. تشبه الإنسان الحقي في تعقيده وتفاعله، وتتجاوز كونها مجرد اداة سردية لتترك اثراً طويل الامد. كما يمكن ان تعني ايضا دمج سمات عدة اشخاص حقيين في شخصية واحدة.« فينيران، التي تعيش في كنف عائلة تتكون من الاب والام والاخت والعمة ومحيط اجتماعي خارجي محافظ، هي شخصية نزيقة، متمردة، ثائرة، طموحة، متطلبة، غير مبالية بالعواقب الوخيمة عندما تتجاوز الخطوط الحمر والمحظورات، ولا تتردد في الوقوف إلى جانب الاخرين عندما يتعرضون للظلم والاستلال. لكنها، في الوقت نفسه، شخصية مزاجية، عدائية، متهورة. فلم تتردد في الأخذ بالثأر لابن مسكين عندما تعرض له احد الصبية وشج رأسه، إذ طاردته حتى طرحته ارضاً وكادت ان تقضي عليه. ولم تتحمل رؤية ذلك الحصان الذي سقط ارضاً من شدة التعب وصاحبه يسوطه بقسوة، فاعترضت بوابل من الشتائم والسباب ضد صاحب الحصان. كذلك لم تحسب للعواقب حساباً عندما ذهبت لمشاهدة السيرك البعيد عن مكانها دون علم ذويها، او عندما كانت تعوم في النهر مع الصبيان وتتسكع على ضفاف الشط وتتعرض للعقاب من قبل ابيها. وبعد وفاة امها وابيها وعممتها، وزواج اختها من رجل سيئ، لم تقف مكتوفة الايدي عندما راح يتحرش بها، فاشتبكت معه وهمت بقتله. لكنها، عندما تراه يقوم بتعذيب اختها وطفلتها حتى يؤذيهما، لا تحتمل ذلك، فتضحي براحتها وتترك بيتها وتسافر مع شخص تربطها به علاقة عاطفية. وهناك، في بغداد التي قدمت اليها من البصرة، حيث يدور جزء من احداث الرواية، وتحت ظروف قاهرة مميتة، تسقط في الرذيلة، لكنها ايضاً لا تحتمل الاستغلال والسلوك والانحطاط، فتعود ثانية، وفي لحظة ثائرة، تقوم بقتل زوج اختها الذي كان السبب في وصولها الى هذه المرحلة من السقوط . على الجانب الاخر، جانب الشخصيات ذات البعد الواحد، السطحية، الهامشية، المسلوبة الارادة، هناك اكثر من نموذج. فهناك، على سبيل المثال، شخصية الأخت الخاملة التي توافق على الزواج من رجل لا تعرفه دون أن تبدي رأياً أو تمنح نفسها فرصة للتفكير، ولا تتحرك ساكناً عندما تتعرض للإهانة والتعنيف من قبل زوجها والتحرش بأختها. وهناك أيضاً شخصية العمة التي تفشل في الزواج من أحد الأشخاص، وتندر بقية عمرها في خدمة أهل نيران حتى وفاتها، دون أن تفكر مرة واحدة في الخروج من دور الخادمة المثابرة لتعيش حياتها.

التمهيد

التمثلات لغة :

(فتمثل لها بشراً سوياً) لقد وردت لفظ التمثلات في القرآن الكريم في الآية الآتية :

– فقد ذكر "العلامة الطباطبائي في الميزان "أن التمثل هو التصور بصورة بشر والسوي هو التام الإعضاء المعتدل الذي لا نقص فيه وكانت الحكمة من ذلك التأنيس لمريم(ع) (حتى لا تفزع من رؤيته على صورته الملكية العظيمه مؤكداً أن التمثل كان حقياً لا تخيلياً) [1]

–وجاء في معجم مقاييس اللغة للخليل بن فراهيدي : أن التمثل تصوير الشيء كأنه تنظر إليه وفي المثل الشيء يضرب للشيء فيجعله مثله [2]

–وقد ورد في معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين بن فارس : المثل واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء بالشيء، وهذا مثل هذا أي نظيره [3]

–اما في معجم لسان العرب لأن منظور ورد المثل أنه كلمة تسوية بينما التمثيل الشيء بالشيء تشبيها بهِ [4]

–وجاء التمثل في المنجد هو تمثل او تصور الشيء، ثم صورته وتخيله واستحضره في ذهنه [5]

---

١ (الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، السيد محمد حسين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١٢ ، ١٣٩٠، ص٣٢-٣٣)
٢ (كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ٢٠٠٣ م، ١٤٢٤ هـ، ص ١١٨) .
٣ (معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر، ٣٩٥ ، ج٥ ، ص ٢٩٦) .
٤(لسان العرب، ابن منظور، دار الإبحاث ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٨م، ج١٢ ، ص ١٨ ، ص٢١) .
٥(المنجد في اللغة والاعلام ، لويس معلوف ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص٤٤٠)

التمثلات اصطلاحاً:

- وقد جاء في موسوعة العلوم الاجتماعية أن التمثلات مصطلح يشير الى الطريقة التي تعمل بها الصور او النصوص على اعادة بناء المصادر الاصلية التي تمثلها وليس مجرد عكسها فقط [1]

- إن التمثل يطلق لتأويل الواقع الذي تمثله [2]

_ والتمثيل هو وضع الشيء أمام العين وتحويله من طابعه المجرد عبر اكتسابه نوعاً من المحسوسية تدرك من خلال الصورة أو العلامة أو الأيقونة [3]

_إن العلاقة بين التمثلات لغة و اصطلاحاً فهي علاقة مشتركة تقوم على اساس بناء شخصية تمثيلية وتشبيه في الذات والذهن.

---

١ (معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية – زكي احمد ، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢، ص ٣٥٤)
٢ (مفاتيح اصطلاحية جديدة، طوني بينيت واخرون ، ص ٢١٤)
٣ (الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار ، ادريس الخضراوي ، ص٥٣)٠..٣.٣.٢.

ملخص الرواية

تدور أحداث الرواية حول شخصيات عده اهمها البطلة نيران وعمتها نجيبة، كان لدى نيران عائلة صغيرة مكونة من ام اسمها (هاجر) واب اسمه (صالح) واخت اسمها (عواطف) وعمتها (نجيبة) كان صالح يعمل ميكانيكي تصليح محركات الزوارق والسفن، رجل صاحب أنس ومسرات مغرماً بالغجر واغانيهم واماكنهم تزوج من (هاجر) بعد ان تقدم لها عن طريق والدها ورفض ذلك، فاتفقو على الهروب معاً . فهربو وذهبو الي مدينه كربلاء متوجه الى الامام العباس وهناك اقسمت هاجر بان تخلص لصالح وتصونه وتترك الغجر من دون اي رجعه .....ثم بعد ايام من الزمن، تقدم إحدى معارف (صالح) لخطبة ابنتنه (عواطف) فتزوجها وانجبت منه بنت اسمها (نورا) تفاقمت المشاكل مع اهل (خليل) زوج عواطف فطردو من البيت فأسكن مع عائلة نيران ..... كانت نيران لديها علاقة مع (سعيد) وكانت علاقتهم في البداية الامر تقليدية ، رد السلام والسؤال عن الأحوال والصحة .... وبعد ايام تطورت علاقتهم فكان يهديها أجزاء من الروايات والكتب وبعض من الاشرطة الغنائية لعبد الحليم حافظ كانت نيران تحلم بان يكون لديها حظ فاقترحت على سعيد ان تجرب حظها في مكان آخر ثم بعد في السنة الرابعة من الحرب اعتلت صحة هاجر واصفر وجهها ونقص وزنها وتساقط شعرها وعجز الأطباء عن معالجتها إلى ان اسلمت روحها فتوفيت . وبعد مروراً من الوقت وفي صبيحة اليوم من ايار افتقدت عمتي نجيبة وذهبتُ لرؤيتها لكن وجدتها طريحة الفراش فاسلمت عمتي نجيبة دون اي شي وفارقت الحياة ..... اشتدة حزن صالح لموت (نجيبة) و(هاجر) فراح يعيد شريط حياتة فتذكر ايامه مع هاجر وكيف هربو وكيف استقبلوه اهله ثم تذكر اختهُ (نجيبة) حين رافقها لايران لزيارة الامام الرضا وذات لحظة من لحظات شروده صدمتة سيارة مسرعة وهوه يقطع الشارع عائداً الي البيت فقدت نيران آخر صلة تربطها ببيت (ام نيران) اقترحت نيران على (سعيد) بأن تجرب حظها في مكان آخر فذهبو الي بغداد ومع مرور الايام عديدة عم الحصار في ارجاء بغداد، فعمل سعيد في كل شي، وباعو ما لديهم في سبيل توفير الطعام لهم عمل (سعيد وخليل زوج عواطف) بسرقة الكويت ونهبوا مافيها من الاجهزة بعد الاحتلال العراق على الكويت ..... واخيراً عمل سعيد كشيخ ولقبة (بالشيخ سعيد الجوارحي) فحث الناس على المحاظرات الدينية وتأيه مجالسهُ فأيدوه وسارو على نهجهُ .....

خلاص الرواية

ان واحدة من اهم التمثلات المرأة في هذه الرواية هي صورة المرأة المستلبة والمكسورة والمقموعة التي تركن لمرارة قدرها ووحشيته، بينما عملت على التمرد والمواجهة منذ صباها تعد نيران نموذج للفعل النسوي غير الواعي وهو يحمل على عاتقة ان تكون درساً من دروس الحياة العراقية وصورة من صورة الانحطاط في التعسينات القرن الماضي . بينما الانهيار الذي صار بفعل تضافر جهود سياسي وقمع اجتماعي بفعل العوز والتفكك الذي يحيل إلى للتوحش والبربرية وكان مصير نيران المتحرك الفاعل الذي يريد ان يصنع شي ذا قيمة باعتبار نسويتها لا باعتبار شخصية مرأة ذات نزوع فحسب.

السيرة الذاتية

الاسم: حسن سلمان
عضو اتحاد ادباء وكتاب العراق
عضو اتحاد ادباء وكتاب ميسان، قاص وروائي

*الإصدارات *:
-١قلعة طاهر / رواية / دار نينوى للنشر / ٢٠١٧ .
-٢نيران / رواية / دار الورشة الثقافية / ٢٠١٩ .
-٣نادي المجانين / قصص / دار الدارويش / للترجمة للنشر / ٢٠١٩ .
-٤ليلة مع موديلياني / قصص / دار الدارويش للترجمة والنشر / ٢٠٢٢ .
-٥ضياع في خمسة ميل / قصص / منشورات دار الورشة / ٢٠٢٣ .
-٦على الارض مباشر / ٢٠٠٥ / مجموعة شعرية / منشورات اتحاد ادباء والكتاب ميسان .

-٧حمى الأوقات الضائعة / ٢٠١٣ / مجموعة شعرية / منشورات اتحاد ادباء وكتاب ميسان .

*وقد حصل على جوائز التالية في مجال القصة والنقد *:
-١جائزة الإبداع العراقي / حقل القصة القصيرة عام ٢٠٢٣ .
-٢جائزة القصة القصيرة ضمن مسابقة لزمان عام ٢٠٠٩ .
-٣جائزة النقد مسبقة دار الشؤون الثقافية العراقية عام ٢٠٠٨ .
-٤جائزة ناجي التكريتي للقصة القصيرة عام ٢٠٢٤ .

ساهم في العديد من المهرجانات الثقافية والشعرية كمهرجان المربد والجواهري والكميت والمنتبي لعدة دورات بصفة محاضرة .
نشر العديد من النصوص الشعرية والقصصية والنقدية والثقافية في الصحف والمجلات العراقية والعربية.

المبحث الاول:

تمثلات المرأة القوية (المنتصرة)

-بضفيرتين شقراويتين مشكولتين عند طرفيهما بوردتين من البلاستك الأحمر، بأنف دقيق، وغمازتين، وجسد نحيل، كانت نيران تجوب أزقة ومنعطفات البچاري، ولا شيء يعيدها إلى البيت غير وجبتي الغداء والعشاء.[1]

(في هذا النص يوصف لنا ملامح نيران وإن هذهِ الفتاة ذو شخصية متمردة وغير مبالية بالعواقب الوخيمة عندما تتجاوز الخطوط الحمر و المحظورات لا شيء يهمها أو يشغل بالها سوى اللعب خارج البيت ولا شي يعيدها غير وجبة الغداء والعشاء).

تصاحب بنتاً وتخاصم أخرى. تنضم إلى فريق وتنسحب من آخر. تتبرع لمساعدة الآخرين دون أن تُطلب منها المساعدة، وتحجم عن المساعدة عندما تُطلب منها. لم يكن يومها يمر بسلام.. عادة ما ينتهي بعين متورمة، أو بقدم مجروحة، أو بخد مخموش، أو بثوب ممزق .[2]

(يصوّر النص فتاةً تعيش حالة من التناقض في علاقاتها وتصرفاتها؛ فهي تارةً تُقبل على الآخرين بالمحبة والمساندة، وتارةً تنفر منهم أو ترفض مساعدتهم، مما يعكس حالة نفسية غير مستقرة تنعكس على حياتها اليومية المليئة بالمشكلات والصراعات التي تترك آثاراً جسدية ونفسية واضحة عليها).

- ذات يوم ، رمى أحد الصبية الأشقياء عبد السلام بحجر وأصاب رأسه سقط الباكستاني على وجهه وتبعثرت محتويات صفيحته فراحت نيران تبحث عن الصبي حيث طاردتهُ من زقاقً إلى زقاقً حتى وقعه الصبي والتقطت انفاسها ووقفت على رأسه ، نظرت إليه طويلاً ، ثم رفستهُ ، وجثمت على صدره ،وعضتهُ من حنجرته [3]

(يتمثل هذا النص في الدفاع عن المظلوم والانفعال العنيف الناتج عن الشعور بالظلم، إذ يصوّر النص موقف "نيران" وهي تثور غضباً بعد الاعتداء على عبد السلام، فتندفع المطاردة المعتدي والانتقام منه بعنف شديد، مما يكشف عن قوة شخصيتها وحدّة انفعالاتها ورفضها للظلم أو الأذى الذي يتعرض له الآخرون).

ـ لم تكن تحتمل رؤية حيوان أن يتعذب أو يعاقب ذات يوم ، كانت مستلقية على أريكة الحوش سمعت ضجة في الخارج فوجدت حصان مُلقى على جانبه مربوطاً بعربة محملة بأكياس الطحين والعربنچي يرفع صوته باتجاه الحصان صرخت بالعربنچي بكلمات غير مفهومة من الشتائم والسباب[4] (يصوّر لنا النص شخصية "نيران" بوصفها فتاةً ذات حسّ إنساني عالٍ لا تحتمل رؤية الضعفاء وهم يتألمون، فتثور غضباً عند مشاهدتها الحصان المُنهك والمعذَّب، مما يكشف عن طبيعتها العاطفية وتعاطفها الشديد مع الحيوانات ورفضها لكل أشكال العنف والإساءة).

---

١ نيران, حسن سلمان, دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع,بغداد,ط١, ٢٠١٩, ص٢٥.

٢ نيران, ص٢٥.

٣ نيران, ص٢٦

٤ نيران, ص٢٦

ـ تنتبه نيران إلى خصلة شعر أسود مجعدة مرمية في الحوض ترتعش شفتاها ويصعد الدم إلى عينيها ترتعش شفناها ويصعد الدم إلى عينيها ، تهرع إلى عواطف وتسألها بصوت متهدج

"شنو هذا الشعر؟"

تشيح عواطف بنظرها بعيداً وتلوذ بالصمت.

تعيد نيران سؤالها

"گولي ؟أحچي؟خليل؟الحقير گص شعرچ؟"

تنفجر عواطف بالبكاء وتختبئ في المطبخ [5]

(يشير لنا النص انفعال "نيران" الشديد عند اكتشافها ما تعرضت له "عواطف" من اعتداء وإذلال، فتظهر مشاعر الغضب والحزن بوضوح من خلال أسئلتها المتوترة وردود فعلها الحادة، مما يعكس قوة الروابط الإنسانية بينها وبين عواطف، ورفضها للعنف الذي يُمارس ضد المرأة.)

ـ كانت ليلة ساخنة من ليالي تموز عندما هاجمها (خليل) وهي في غرفتها نائمة شعرت بشيء متعرق يتحس ساقها ويصعد إلى فخذها ويلامس سرّتها انتفضت وانقلبت على بطنها وتناولت السكين ووجهت له طعنة في بطنه..

صرخ (خليل) وهو يضع يده على بطنه. لم تتركه ،عاجلته بطعنة أخرى في صدره، و عاودت وطعنته في بطنه مرة ثانية.[6]

(يصور لنا النص لحظة تعرّض الشخصية والاعتداء الخطير داخل غرفتها، فتواجه المعتدي بعنفٍ دفاعي نابع من الخوف والغضب، مما يكشف عن قوة الشخصية ورفضها الخضوع أو الاستسلام للأذى. كما يبرز النص حالة التوتر النفسي والانفعال الحاد الناتج عن التهديد المباشر لكرامتها وأمانها).

ـ أغاضها وألمها رؤية عواطف تخرج كل يوم بخليل على كرسيه المتحرك وسط الحوش، وتقوم بتنظيفه وغسله وإطعامه بيديها. هذا الذي أحال لياليها إلى حسرات ونظرات مبحلقة في العتمة، ونهاراتها إلى ذلٍ مستديم هذا الذي بسببه فقدت طهارتها وعفتها وكرامتها على أيدي أشقى وأبشع الكائنات لتُصبح أرخص عاهرة في الميدان، وأتعس مخلوق يتململ ضياعاً في غرفة جرداء من غرف بيت محشور في زقاق من أزقة محلة المجاري النتنة.[7]

(إذ يبرز النص مشاعر الغضب والحسرة التي تعيشها الشخصية عند رؤيتها لمن كان سبباً في تعاستها يُعامل بعناية واهتمام، مما يوقظ داخلها ذكريات الألم والذل، ويكشف عن عمق الجرح النفسي الذي ما زالت تعانيه رغم مرور الزمن)

---

٥ نيران, ص٢٩-٣٠
٦ نيران, ص٨٣
٧ نيران, ص١٨٠

ـ بخطى ثابتة وبمشية آلية، دخلت غرفة أختها كان خليل ممدداً على حصيرةٍ قذرة، ورائحة براز وبول تفوح في أرجاء الغرفة، وإزار خفيف، صحراوي اللون، ملقى عليه، تبرز منه أصابع قدميه الصفراوين ،اقتربتُ منه كان شاحباً شحوب الموتى عيناه مصوبتان إلى الأعلى، وقد برزت عظام فكيه الكبيرين .نظرتُ في عينيه فلم تجد تلك النظرات الوقحة المتلصصة نظرات المكر والخداع والوضاعة كانت مجرد نظرات بلهاء لاحياة فيها. وقفت على رأسه دقيقة ..

نادته بصوتٍ ضعيف :

"خليل.. أيها التافه الحقير ماذا صنعت بنا ."

دارت حولهُ وبصقت عليه، وتناولت مخدة ووضعتها على وجهه، وجلست عليها حتى لفظ أنفاسه الأخيرة .. أعادت المخدة إلى مكانها، وصدعت بنفس الخطى الثابتة والمشية الآلية إلى غرفتها وتمددتْ على السرير[8] (إذ يصوّر النص مواجهة الشخصية لمن كان سبباً في تحطيم حياتها، بعد أن أصبح ضعيفاً وعاجزاً، فتتحول مشاعر القهر والكراهية المتراكمة داخلها إلى فعل انتقامي حاسم. كما يكشف النص عن الأثر النفسي العميق الذي تتركه الإساءة والظلم في النفس الإنسانية، حتى تدفع الإنسان إلى التصرّف بدافع الغضب والرغبة في إنهاء مصدر الألم).

---

٨ نيران, ص٩٢-٩٣

المبحث الثاني:

تمثلات المرأة الضعيفة المهزومة

لم تكن (نيران) تحتمل المفاجآت ومالم يكن في الحسبان.. كانت المفاجآت تسبب لها صدمة موجعة وخيبة أمل كبيرة.. ففي عشية أحد أعياد الفطر، تلبدت السماء بالغيوم على حين غرة ، على الجانب الآخر، يجتاح القلق والخوف(نيران) و(عواطف)..
ماذا لو أمطرت الدنيا؟ لو أمطرت لن يكون هناك عيد.. لن تكون هناك أراجيح، وفَرارات، وحلوى، وعربات خشبية تجرها الأحصنة، ونظارات ملونة، وسينما.
ماذا تفعلان بملابس العيد، وحذاء العيد، لو أمطرت وتحولت الساحات والشوارع إلى طين وبرك مياه؟ كانتا تقفان تحت الشرفة قلقتين، مثل دجاجتين على وشك أن يضعا بيضتيهما، ومابين الحين والآخر [1](يصوّر النص حالة التوتر والترقب التي تعيشها ‘‘نيران’’ و‘‘عواطف’’ خوفاً من أن تفسد الأمطار فرحة العيد وأحلام الطفولة البسيطة. كما يكشف النص عن حساسية ‘‘نيران’’ المفرطة تجاه المفاجآت والأحداث غير المتوقعة، مما يعكس طبيعتها القلقة وتأثرها النفسي العميق بكل ما يهدد شعورها بالفرح والأمان).

مع تساقط أولى قطرات المطر، سقط قلب (نيران). زَمَّتْ شفتيها وزفرت. دخلت غرفتها وداست على ملابس العيد. رمتْ بحذاء الباتا الكتاني الأبيض إلى الحوش وقطعت قلادتها، فتناثرت كريات القلادة خرجتْ وكالسائر في منامه، توجهتْ إلى وسط الحوش وجلستْ تحت المطر الذي راح يشتد هطوله قرب شجرة الرمان أحنَتْ رأسها وشبكت يديها وراحتْ تنظر إليهما دون حراك، وخيوط الماء تنزل من أطراف شعرها، وقد تكونت تحتها بركة كبيرة [2] (إذ يصوّر النص تأثر ‘‘نيران’’ الشديد بهطول المطر الذي رأت فيه نهايةً لأحلام العيد وفرحته، فتحولت مشاعرها إلى حالة من الحزن والانكسار انعكست في تصرفاتها العنيفة تجاه ملابس العيد وجلوسها تحت المطر بلا حراك. كما يكشف النص عن هشاشة حالتها النفسية وشدة تعلقها بالأشياء البسيطة التي تمنحها الشعور بالسعادة والأمل).

---

١ نيران, حسن سلمان, دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع,بغداد,ط١, ٢٠١٩, ص٢٣.
٢ نيران, ص٢٤

تطلّعت (نيران) في الأجساد طويلاً لكن نظرها توقفت أمام معدوم في مقتبل العمر، وسيم الملامح. ارتجف جسدها، وهرب دمها، وبلا وعي منها راحت تتقدم صوب المعدوم الوسيم.. اعترضها أحد أفراد الشرطة المكلفين بحراسة المعدومين ونهرها آمراً إياها بالعودة إلى الخلف. لكنها واصلت التقدم بثباتٍ وببطء نحو المشنقة حيث تتدلى جثة المعدوم الوسيم.. أمسكها الشرطي ودفعها بقوة فوقعتْ بين أقدام المتفرجين.. سال خيط دم من جبينها، تورّم أنفها، وجحظت عيناها. ساعدتها امرأة بدينة على النهوض.
شعرت بيدٍ تمسكها من معصمها وتقودها خارج جموع الناس، وتمسح الدم عن جبينها ،نظرت إلى المرأة وارتمتْ في حضنها وهي تبكي بصمت كانت العمة (نجيبة) التي بحثت عنها في كل مكان [3] (إذ يصوّر النص تأثر "نيران" العميق بمشهد الإعدام وما أثاره داخلها من اضطراب وانفعال شديد دفعها إلى الاقتراب من المشنقة دون وعي كامل. كما يكشف النص عن هشاشتها النفسية وحاجتها إلى الاحتواء والحنان، وهو ما يتجلى في ارتمائها بحضن عمتها بعد لحظة الخوف والانهيار، في دلالة على بحثها عن الطمأنينة وسط عالم مليء بالعنف والاضطراب).
لم تكن (نيران) تعرف أن فراق أختها (عواطف) سيسبب أليها كل هذا الألم ويجعلها فريسة للتعب . لكنها حدثت بأن زواج (عواطف) نذير شؤم سوف يعصف ببيتهم ما إن خرجت (عواطف) من باب البيت بفستان الزفاف، وعمتها تنثر على رأسها حبات الرز والسكر، حتى انتابها شعور بأن خروج (عواطف)، ماهو إلا الخطوة الأولى لخروج كل الأيام الحلوة من هذا البيت، خطوة ستتبعها خطوات وخطوات حتى يقفل الفَرح بابه إلى الأبد[4] (يشير لنا النص مشاعر الحزن والقلق التي تسيطر على "نيران" بعد زواج أختها "عواطف"، حيث ترى في رحيلها بداية لانطفاء الفرح وتبدّل حياة الأسرة نحو الحزن والوحدة. كما يكشف النص عن شدة تعلقها بأختها وحساسيتها النفسية تجاه التغيرات التي تهدد استقرارها العاطفي والأسري).

---

٣ نيران, ص٣٣

٤ نيران, ص٥٣-٥٤

يوم تقدم (خليل) لخطبتها، سألتها عمتي عن رأيها، فيما إذا كانت موافقة أم لا. فأجابت ورأسها على صدرها
"الرأي رأيكم عمة "
في الحقيقة لم تكن راضية ولا رافضة، كانت تتطلع لخوض تجربة تعوضها عن فشلها في إقامة علاقة عاطفية، تجربة حسية، تجعل خدودها ناراً، وتجعل الدنيا تدور بها.. تجربة تجعلها تنتقل من عالمٍ إلى عالمٍ آخر وهي في مكانها، كما أخبرتني ذات يوم عمّا يحصل بينها وبين (سعيد) على السطح هل كنت أنا سبب موافقتها على الزواج وتعاستها فيما بعد؟ هل كنت أنا من دفعها إلى أحضان شخص عجز عن أن يشعل خدودها ناراً، وينسيها الدنيا وما فيها؟[5] (إذ يصوّر النص حالة التردد التي عاشتها الشخصية عواطف عند قبولها الزواج، فهي لم تكن مقتنعة تماماً ولا رافضة، بل كانت تبحث عن تجربة عاطفية تمنحها الإحساس بالحب والاكتمال وتعوضها عن إخفاقاتها السابقة. كما يكشف النص عن شعورها اللاحق بالندم والتساؤل حول الأسباب التي قادتها إلى حياة تعيسة خالية من المشاعر التي كانت تحلم بها). بلا ألم. بلا ضجيج. غادرت عمتها الحياة ومعها غادر كل شيء جميل. لم تسقط من عينها دمعة واحدة. لم تشيعها يوم أخرجوا جثمانها من البيت ولم تمشِ في جنازتها مع المودعين. عندما أخرجوا جثمانها من الباب، انسحبت من بين الناس وصعدت (نيران) إلى غرفة عمتها تمددت على سريرها، وراحت تناجيها: لماذا عمة؟ هكذا خذلتني حبيبتي؟ لماذا لم تقولي لي شيئاً قبل أن ترحلي ياروحي؟ لو كنتِ قلتِ شيئاً؟ كلمة واحدة؟ والآن ماذا أصنع ياعمة. لمن أشكو؟ لمن أبوح؟ [6] (إذ يصوّر النص حالة الانكسار الداخلي التي تعيشها "نيران" بعد وفاة عمتها، التي كانت تمثل لها مصدر الأمان والاحتواء. كما يكشف النص عن عمق تعلقها بها وشعورها بالعجز والوحدة بعد رحيلها، فتتحول مناجاتها إلى تعبير صادق عن الفراغ العاطفي والحاجة إلى من يخفف عنها آلامها وهمومها.)
لم يمض يوم واحد على وعيد (خليل) لها، حتى بدأتْ تسمع من الأسفل صراخ واستغاثات (عواطف)، فتدس رأسها أسفل الوسادة تشاهده يمسك عواطف من شعرها، ويجرها إلى الحوض، ويضع رأسها تحت صنبور الماء.. تشاهده يسحلها من الغرفة إلى المطبخ، وتنتهي إلى سمعها أصوات تكسر صحون وتحطيم قدور. [7] (إذ يصوّر النص مشاهد الاعتداء والإهانة التي تتعرض لها "عواطف" على يد "خليل"، وما تخلّفه هذه الأفعال من خوف وألم لدى "نيران" التي تعيش الموقف بعجزٍ واضطراب نفسي. كما يكشف النص عن هيمنة القسوة داخل البيئة الأسرية وتحول البيت إلى فضاء مليء بالخوف والمعاناة بدل الأمان والاستقرار).

---

٥ نيران, ص٥٥
٦ نيران, ص٦١
٧ نيران, ص٦٩-٧٠

وصلت الرسالة ، إنه يتخذ من تعذيب (أختها) و(نورا) وتعذيبهها، وسيلة لترهيبها، والضغط عليها، وإجبارها على مغادرة البيت. ولكن إلى أين تذهب؟ [8] (يصوّر النص إدراك الشخصية أن العنف الممارس ضد المقرّبين منها ليس سوى وسيلة للضغط عليها وترهيبها ودفعها إلى الرحيل. كما يكشف النص عن حالة الحصار النفسي التي تعيشها، فهي تدرك الخطر الواقع عليها، لكنها في الوقت نفسه تشعر بالعجز لعدم امتلاكها مكاناً آمناً تلجأ إليه، مما يعمّق إحساسها بالضياع والخوف).

دفعت (نيران) بالحقيقة أسفل السرير ونظرت إلى نفسها بالمرآة: احتارت إلى أي من نيران تنظر وتتحدث؟ إلى التي تحمل أثر جرح فوق حاجبها الأيسر، أم إلى صاحبة الوجه المظلم التي تجلس في غرفة من غرف بيت الباجي العطن الرائحة؟ إلى التي كانت تسرح وتمرح في أزقة البجاري منذ الصباح الباكر حتى غروب الشمس ولاشيء يعيدها إلى البيت سوى الجوع، أم إلى تلك التي ارادت ان تجرب حظها في بغداد فوجدت نفسها طريدة، ممزقة الروح، مخدرة القلب، لاتفهم شيئاً مايجري؟ [9] (إذ يصوّر النص حالة الانقسام الداخلي التي تعيشها ‘‘نيران’’ وهي تقارن بين صورتها القديمة المفعمة بالحياة والحرية، وصورتها الحالية المليئة بالألم والانكسار. كما يكشف النص عن تأثير المعاناة والظروف القاسية في تشويه الذات وتحويل الإنسان من شخصية مفعمة بالأمل إلى شخصية ضائعة ومثقلة بالجراح النفسية.) فهمت (نيران) أن "سعيد "خدعها. رماها في أحضان الباجي وهرب. أصبح مجيء الفتيات إلى بيت الباجي، واصطحابها لهن خارج البيت، منظراً مألوفاً لديها، حيث كانت الباجي تدور بالفتيات على عمال الأفران والمخابز والمطاعم ونزلاء الفنادق الخالية من النجوم، وتتقاسم الأجور معهن مناصفة.هكذا إذن يا ابن الكلب، راحت تقول لنفسها، رميتني في احضان قوادة بشعة، من يدها العجفاء، اتناول لقمتي، وعلى صراخها استيقظ والعفونة تصفعني اينما ادرت وجهي. [10] (إذ يصوّر النص صدمة ‘‘نيران’’ بعد اكتشافها أنها تعرضت للخيانة والاستغلال، حين تُركت فريسة لبيئة منحرفة تستغل النساء لتحقيق المكاسب المادية. كما يكشف النص عن تحوّل حياتها إلى حالة من الذل والانكسار النفسي، وشعورها بالقهر والغضب من الشخص الذي كان سبباً في ضياعها ودفعها إلى هذا

---

٨ نيران, ص٧٣

٩ نيران, ص ٩٤

١٠ نيران, ص٩٥

الواقع المؤلم)

نظرت نيران إلى الباجي، فضحكت وقالت لها :

"حبيبتي هذا رابع مشتري "

فتحت نيران فمها :

"مشتري؟ رابع مشتري؟ "

"اي حبيبتي. هاي توحه منهزمة من اهلها، مادري من اي محافظة، ومادري ليش منهزمة. اجتي على بغداد واستلموها الربع، واحد يبيعها للثاني إلى أن وصلتني، وهذا حجي محمد آخر المشترين، تاجر مواد غذائية معروف، وعنده اثنين نسوان. آني مجرد وسيط. استلمت حقي[11](يصوّر النص واقعاً إنسانياً مؤلماً تتعرض فيه الفتاة للاستغلال والمتاجرة بعد هروبها وفقدانها الحماية والأمان. كما يكشف النص عن انحدار القيم الإنسانية لدى بعض الشخصيات التي تتعامل مع النساء بوصفهن وسيلة للكسب المادي، مما يبرز حجم الظلم والامتهان الذي تعانيه المرأة في البيئات القاسية والمضطربة)

---

١١ نيران , ص٩٥

خاتمة

تُعد رواية نيران من الروايات التي قدّمت صورة واقعية لمعاناة الإنسان في البيئات المهمَّشة، إذ نجح حسن سلمان في تصوير التحولات النفسية والاجتماعية التي عاشتها الشخصيات، ولاسيما شخصية "نيران" التي مثّلت نموذجاً للمرأة المقهورة التي دفعتها الظروف القاسية والعنف الأسري والاجتماعي إلى التمزق النفسي والصراع الداخلي. كما كشفت الرواية عن حجم الألم الذي يمكن أن يخلّفه الفقر والحرمان والاستغلال في حياة المرأة، من خلال أحداثٍ اتسمت بالواقعية والقدرة على نقل مشاعر الخوف والتمرد والانكسار. وقد اعتمد الكاتب لغةً سردية مؤثرة وأساليب وصفية عميقة أسهمت في إبراز الجوانب النفسية للشخصيات، وجعلت القارئ يعيش تفاصيل معاناتها وتحولاتها. وتوصل لي من خلال البحث إلى أن الرواية لم تكن مجرد حكاية فردية، بل جاءت معبرة عن واقع اجتماعي أوسع، سلط الضوء على قضايا العنف والتهميش وفقدان الأمان، مؤكدةً أهمية الأدب في كشف معاناة الإنسان والدفاع عن القيم الإنسانية والكرامة.

المصادر

١- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، السيد محمد حسين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١٢، ١٣٩٠هـ، ج١٤.

٢- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٣م -١٤٢٤هـ.

٣- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر، ٣٩٥،ج٥.

٤- لسان العرب، ابن منظور، دار الابحاث ، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م، ج١٢.

٥- المنجد في اللغة والإعلام، لويس معلوف، مطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٧٥م.

٦- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، زكي أحمد، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م.

٧- مفاتيح اصطلاحية جديدة، طوني بينيت وآخرون.

٨- الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، إدريس الخضراوي.
٩- نيران ، حسن سلمان ، دار الورشة الثقافية ، بغداد ،ط١ ، ٢٠١٩.